

ب- أولياچليبي، ورحلته إلى الحجاز

أولياچليبي، أوليا تشليبي - شلبي

مَنْ هو هذا الأوليا .. أين ظهر .. وترعرع ..؟ ماكنيته وشهرته ..؟ ما هي الظروف ، والدوافع التي وقفت خلف رحلته هذه ..؟ ما قيمة هذه الرحلة تاريخياً ... وجغرافياً ...؟ وما مكانتها بين الرحلات الإسلامية ...؟ تساؤلات كثيرة تتابع إلي الذهن بمجرد سماع إسم هذا الرحالة التركي المسلم .

فتجمع الآراء علي أن ميلاد أولياچليبي هو العاشر من محرم سنة ١٠٢٠هـ = الموافق ٢٥ من مارس سنة ١٦١١م^(١) في اونقپاني بمدينة استانبول^(٢) وأطلق عليه والده إسم «أولياچليبي»^(٣) ، تيمناً بإسم صديق حميم له ، صار فيما بعد أستاذاً لأوليا .

(١) انظر : Cafer Erkilic, Evliya çelebi, Mad. Islâm Ansik. -, M. Cavid Baysun, 1- Hayati, Sanati, Eserleri, Varlik Yayınevi, Ist. 1954.- M. W. Özün, Evliya çelebi Seyahatname, Birincicilt.

وغير هؤلاء نهاد سامي بكارلي ، وبهجت نجاتي كليل ، ووصفي ماهر قوجه تورك واختلف مع هؤلاء ؛
١- مؤلف كتاب Book of Travels of Evliya çelebi, Turkey - إذ جعل التاريخ ٢٥ فبراير بدلاً من مارس ، ٢-
استان فوردجي شو إذ جعل السنة ١٦١٤م بدلاً من ١٦١١م . (المترجم)
٢- Unkapani ؛ حي من أحياء مدينة استانبول القديمة ، ذات الطابع الإسلامي . وكانت سوقاً رائجاً للدقيق ، والحبوب ، ومازالت كذلك وإن كان الحي قد تغير إسمه إلى باوزسان ، « المترجم » .
(٢) ميلاد أولياچليبي قصة يذكرها في المجلد الأول من سياحته ، مفادها [أنه في ليله ميلاده كان الشيخ صنع الله أفندي في المنزل لحظة ميلاده ، فأذن بصوت عالٍ في أذنه .. وأمر الوالد بذبح الأضاحي «العقيقة» فذبح الشيخ اسماعيل أفندي المولوي أضحية .. وكان في المنزل أيضاً سبعون من العارفين بالله وأن الكسوة دار محمد أفندي هو الذي ربط قِماطه ... وأخرج شيخ مولوية قاسم باشا كسرة خبز من فمه المبارك ، ووضعها في فمه داعياً له . كما أخذ شيخ مولوية يكي قايي = بنى قايي الشيخ دوغاني دهنه الطفل الصغير وقذف به في الهواء .. متمنياً أن يكون هو طائر المولوية في الدنيا .. سياحته ج ١ ط ١ ص ٣٦١ .
نخلصُ من هذه القصة بتصور الجو الصوفي ، والعرفاني ، والديني الذي ولد فيه الصبي .. وأن ذلك سيكون له ابلغ الأثر في حياته . « المترجم »

(٤) أولياچليبي ؛ كلمة أوليا ؛ هي تخفيف من الكلمة العربية أولياء وهي جمع كلمة ولي .. أما كلمة چليبي فهي مكونة من كلمة جلب التركية القديمة وتعني «الله» و«ي» هي باء النسبة العربية . فيكون المعنى العام هو الولي المنتسب إلي الله .. أو ولي الله .. وهذا هو الأرجح لمعنى الإسم الذي إختاره والد الطفل ، فقد أراد له أن يكون صوفياً ، يسلك طريق الصوفية المؤدى إلى الله .

كما أن من معاني هذه الصفة ؛ السيد ، الأفندي ، المهذب ، الرقيق الحال . حلو المعشر المتعلم ، الأصيل ، كما كان لقباً يُلقب به أولياء العهد في العصر العثماني ، وكذا يُطلق على رئيس طائفة من المولوية ، أو على مَنْ يتحدر =

أما أبوه فهو درويش محمد ظلي^(١) وجدته دميرجي ، اوغلى قره أحمد ويوصل نسبته إلي الصوفي الشهير أحمد يسوي^(٢) أما أمه فهي الأخرى ذات نسب ، وحسب تصل في قرابتها إلي الصدر الأعظم ملك أحمد باشا^(٣) . أما الجد الرابع لآوليا هو «مير عالم» ياوز أرسنان ، وكان من كبار حراس محمد الفاتح ، وله جامع بإسمه ، في الحي الذي ما زال يحمل إسمه في مدينة استانبول حتى الآن . حي «ياووزسنان» . وكان للعائلة بيوت كثيرة في هذا الحي ، وقد ولد آوليا في أحدها . وقد إحترق وأعيد البناء في حياة اوليا جلبي .. وقد تغير هذا الحي

= من سلالة مولانا جلال الدين الرومي ، أو الولي حاجي بكطاش . ولقباً إدارياً بمنحه السلطان لولي العهد الذي يتولى ولاية صنجق أو ولاية من ولايات الدولة . وكلها تنطبق على آولياجلبي ، فهي أمنيات يتمناها الأب لولده . «الترجم» (١) هناك آراء كثيرة بهذا الصدد ؛ فهناك من يجعله محمد ظلي بن درويش . ومن يجعله ؛ درويش محمد ظلي .. ومن يجعله ؛ درويش محمد آغا ظلي ، «الترجم» .

(٢) أحمد يسوي ؛ صوفي كبير ، صاحب مذهب صوفي يحمل إسمه ، وقد ظهر في التركستان في محيط صوفي ، تملذ على يد العالم المشهور أرسلان بابا ، ثم رحل إلى بخارى ليتلقى العلم على يدي الشيخ يوسف الهمزاني ، بعد أن أتم دراسته ، شكل طريقته الصوفية الخاصة به ، ونالت رواجاً كبيراً في بلاد ما وراء النهر ، توفي عن عمر ناهز الستين سنة (٥٦٢هـ = ١١٦٦م) . وقد جمع آراءه الصوفية في كتابه (ديوان حكمت) = ديوان الحكمة . «انظر د/ عمرو عبد الباقي ، الرحالة التركي آولياجلبي ، مجلة كلية اللغات والترجمة ، العدد التاسع (١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م) ، وتورك أدبياتنده ايلك متصوفلر ، محمد فؤاد كوبريلي ، استانبول سنة ١٩١٨ . (الترجم) .

(٣) ملك أحمد باشا : من الأشخاص البارزين في الدولة العثمانية . تقلب في مناصب كثيرة حتى صار صدرأعظم في زمان السلطان محمد خان الرابع فقد شغل وظيفة سَلحدار ١٠٤٨هـ ثم عين واليا على ديابكر ، فأرصرور وبوصاية من (قيا) ابنة السلطان مراد الرابع شغل ولاية حلب لمدة تتراوح ما بين خمسة وستة أعوام ، ثم عين والياً على بغداد سنة (١١٦٠هـ) وفي العام نفسه ولى الصدارة العظمى ثم عزل بعد أن شغل هذا المنصب لمدة ثلاثة عشر شهراً وعين بعد ذلك واليا على ملسترة وكانت وفاته سنة (١٠٧٣هـ) (انظر قاموس الاعلام لشمس الدين سامي ج١ ص ٧٩٢ - ٧٩٣) وانظر مقال موزتمان المنشور بدائرة المعارف الاسلامية التي سبقت الإشارة إليها . ويقول اوليا (ولما كان احمد باشا يمت بصلة القرابة لوالدتي فان الإنعام كان يصيبني في سهولة ويسر) سياحتنامه ج١ ص ٢٤٥ . وقد تناول اوليا قصة عزل ملك أحمد باشا (انظر سياحتنامه ج١ ص ٢٧٨) ويعد المستشرق موزتمان من الباحثين القلائل الذين أبرزوا ملك أحمد باشا على أنه خال لآوليا جلبي فقد اكتفت مصادر أخرى كثيرة بالقول بأن اوليا يعد من أقارب ملك أحمد باشا الصدر الأعظم وآوليا جلبي نفسه هو أحد هذه المصادر (انظر سياحتنامه ج١ ص ٢٤٥) وأحمد وفيق باشا (انظر مقدمة المجلد الأول من سياحتنامه وقاموس الاعلام لشمس الدين سامي مادة أوليا جلبي وانظر كراتشكوفسكي : الادب الجغرافي العربي - المجلد الثاني ترجمة صلاح الدين هاشم ص ٦٤٨ ويقول الدكتور : جاويد بايصون «والدى يمكن قوله فيما يتعلق بما بين أوليا وملك أحمد باشا من صلة قرابه هو أن أم ، أوليا جلبي ربما كانت اخنا للصدر الأعظم ملك أحمد باشا وربما كانت من أقاربه أى أنه ليس هناك من الوثائق ما يعين الباحث على القطع بأنها كانت شقيقة هذا الصدر الأعظم (انظر ج بايصون - المصدر السابق - ص ٤٠١) + د. عمرو عبد الباقي ، الرحالة التركي آوليا جلبي مجلة كلية اللغات والترجمة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م العدد التاسع عشر + د. الصنصافي أحمد المرسي نفس المجلة العدد العاشر) (الترجم) .

الآن «آتاتورك بولوارى» . ومن الطريف حسب قول أوليا نفسه أنه كانت للعائلة محلات دباغة تبلغ ثلاثة عشر محلاً يعمل بها أكثر من مائة عامل . ولم يبق منها إلى الآن إلا الإسم فقط ، فما زال فى الحي شارعاً يُسمى «صاغريجى صوقاغى» أي شارع الدبَّاغ .

حفظ أوليا القرآن ؛ فلقَّب بـ «حافظ» ، ولما كان إبن جواهرجى السراي ، وتعلم في القسم الداخلى بالسراي فلقَّب بـ «چلبى» أي المذهُب ، ولتعلم ، ومن هنا فإن الإسم الكامل له هى «الحافظ أوليا چلبى بن درويش محمد ظلى» . وحسب العادات ، والآعراف التركية العثمانية القديمة ؛ كانت هناك مراسم وإحتفالات تُقام لتسمية المولود ؛ منها الاذان فى الأذن اليمنى ، وقد قام بهذا - كما سبقت الإشارة - شيخ الإسلام صنع الله أفندى^(١) وهو الذى أطلق عليه لقب أوليا ، ثم إنضم إلي الحفل كيسوه دار محمد أفندى ، وكان شخصاً محترماً محبوباً من الجميع ، فاحتضن الوليد، وأذن فى أذنه اليسرى .. وهو الذى أطلق عليه إسم محمد . من هذا المنطلق يصبح «محمد أوليا چلبى بن درويش محمد ظلى» .

أياً كانت الأسماء ، والآلقاب ، فقد وصلنا الإسم الذى عُرفَ به وهو «أولياچلبى» . والده هو درويش محمد ظلى^(٢) .

(١) شيخ الإسلام صنع الله أفندى ؛ هو صنع الله أفندى ابن الحاج مصطفى بن جعفر أفندى ، ١٥٥٢ - ١٦٦١ م . وهو شيخ الإسلام الثالث والمشرين فى الدولة العثمانية . (المترجم)

(٢) درويش محمد ظلى ؛ والد أولياچلبى وقد عاصر هذا الوالد تسعاً من السلاطين العثمانيين اعتباراً من السلطان سليمان القانونى وتوفي عن مائة وتسعة عشر عاماً .. بدأ مُنادماً ، ومُصاحباً للسلطان القانونى ، ولحسن صوته ؛ عمل مؤذناً أساسياً فى جامع سليم الثانى فى أدرنه ؛ ولما كان فناناً ؛ أصبح رئيساً لجواهرجية السراي إعتباراً من عصر سليم الثانى هذا ، ثم تدرج ، وتدرّب على العديد من الأعمال التى طوّرت ، وتُمثت الفنون لديه .. كانت له محلاته التى تعمل فى الجواهر ، فخرجرت من تحت يديه قطع فنية نادرة .. منها ساعة جميلة جعلها فى خاتم السلطان محمد الثالث وباب الحرم المشغول خصيصاً لجامع السلطان احمد .. وأرسل به إلى مكة خصيصاً لصنع المزُراب الذهبى الذى صنعه بيديه لتصريف مياه الأمطار من فوق سطح الكعبة المشرفة ؛ والدولاب الذى صنعه من قنطار من الفضة له قدم النبى ﷺ = أثر النبى ﷺ (ﷺ) فى مصر .. والبوابات ، والأبواب الفنية الرائعة التى صنَّعها بنفسه لجامع «استركون» .. وخرجت من تحت يديه العديد من البَسَمَلات ، والآيات ، وآبيات من الشعر كتبها بالخط العربى الجميل لكي تزدان بها الأسيلة .. والمغاريب .. والمنابر فى العديد من المدن ، والأحياء التى طاف بها أوليا فيما بعد ، وذكر أنها من إبداعات والده انظر : جعفر أرفليج ص ٦) (المترجم) .

للوالد تأثير كبير ، وذكريات كثيرة ، ومآثر حميدة ؛ كانت تمنح أوليا الفرصة لكي يتحدث عن والده في ثنايا كتاب الرحلات التي قام بها فيما بعد .

وكلمة «درويش» التي تسبق ، أو تلحق باسم «محمد ظلي» لابد أنه إكتسبها لمسلكه الديني ، أو الصوفي الذي لازمه ؛ وذلك لأنه كان من المداميين على حضور جلسات الذكر في تكية الشيخ عزيز محمود خدائي^(٢) الذي كان من مشاهير مشايخ عصره . وكان الوالد ، دائماً ما يصطحب ولده ، ويجعله يُشارك في المراسم ، والتراتيل ، والإنشاد الديني ، ويجالس كبار المرشدين ، والمريدين في التكية .

لقد وفدت بدايات العائلة من آواسط آسيا ، وتوطنوا حيي زره كان في كوتاهية^(٣) . ثم شيدت العائلة بيوتاً لها في كل من «برغامة»^(٤) و «بورصة»^(٥) ، وامتلكوا مزرعة في صانديقلي^(٦) . وعند فتح استانبول ، بالرغم من أن العائلة قد انتقلت إليها ، إلا أنها لم تقطع صلاتها بما هو خارج العاصمة .

(١) مرجع سبق ذكره ص ٦ Cafer Erkiliç 1- .

(٢) عزيز محمود خدائي ؛ وهو من كبار مشايخ الطريقة الخلوتية ، اشتهر بكثير من اشعاره التي تدعو إلى الزهد ، والعبادة الخالصة لوجه الله . بعد ان اتم علومه ، سَلَكَ سَبْلَ القضاء ، انتسب في بادئ الامر إلى الطريقة المولوية ، واخذ العهد على سيخها ، استقر بطريقته في اسكيدار ، وعمل بالوعظ والإرشاد في اواخر أيامه ، توفي ١٠٣٨ هـ ووضيحه من المزارات المفتوحة حتى العصر الحاضر ؛ انظر ، شمس الدين سامي ، قاموس الاعلام ج٣) (المترجم) .

(٣) كوتاهية : (مركز ولاية في العصر العثماني ، وكانت تقع في جنوب شرق ولايتي خدا وندكار ، وبروسه . من المدن التي لعبت دوراً مهماً في الحضارة الإسلامية على مر العصور . بها العديد من الآثار الإسلامية التي ترجع إلى العصور السابقة من السلاجقة والعثمانيين . وفي العصر الحديث هناك قضاء يحمل نفس الاسم . وتقع بالقرب من ولاية انقره . وارضيتها تغطي حوالي ١٨٠٠٠ كم٢ من مساحة تركيا المعاصرة ، تتمتع بطقس جميل ، وحرارة سياحية نشطة . انظر: شمس الدين سامي ؛ قاموس الاعلام ج٥) (المترجم)

(٤) برغامة ؛ إحدى المدن الصغيرة القريبة في بورصة ، ومناخها معتدل ، وزراعية . «المترجم»

(٥) بورصة ؛ إحدى أشهر المدن التركية المعاصرة . وكانت اول عاصمه للدولة العثمانية . ثم تلتها ادنة ثم استانبول . لها مكانه مرموقة في الحضارة التركية العثمانية حيث شيد بها العديد من المساجد والجوامع والمدارس والأضرحة العثمانية . وظلت إلى عهد بعيد من الفتح العثماني لمدينة استانبول وهي المدفن الاساسي للسلطين العثمانيين . انظر ؛ للمترجم استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة ، القاهرة ١٩٩٩ . ص٢٣) (المترجم)

(٦) صانديقلي = صانديقلي ؛ مركز قضاء ، سكانها جميعاً كانوا وما زالوا من المسلمين ، تابعة لولاية خداوندكار . وبها العديد من الآثار الإسلامية التي ترجع إلى العصور السابقة . ويقع في شمالها الغربي سنجق كوتاهية . وفي جنوبها الشرقي قونية . تحوط بها الجبال المرتفعة . كانت كثيرة المراعي في العصر العثماني ، ينبع منها نهر مندريس الكبير . في جنوبها الغربي توجد بحيرة (آجي كُول) . متعددة المحاصيل في العصر الحديث . تكثر بها المعادن الطبيعية . تربطها بالعديد من المدن الطرق الحديدية ، والطرق البرية الجيدة . بها مياه معدنية للإستشفاء . انظر : شمس الدين سامي ، قاموس الاعلام ، ج٤) (المترجم)

الأم ؛ والتي لم يشأ أوليا ذكر إسمها - كعادة الشرقيين - هي فتاة أباطية^(١) وفدت هي الأخرى من قفقاسيا^(٢). أضحت خالة ، أو ابنة خالة ملك أحمد باشا الذي صار وزيراً ، ثم صدرأ أعظم ، في الدولة العثمانية . وقد تزوجها جواهرجي القصر درويش محمد ظلي . . . ومن هنا كانت صلة أوليا چلبلي بملك أحمد باشا ، وطيدة طوال حياته ، وبسط أحمد باشا عليه عطفه ، وحمايته . . كما حظي برعاية زوجته اسمهان قايا سلطان ابنة السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠ م) . ولهذا ؛ كانوا ينسبون أوليا آحيانا إلي ملك أحمد باشا . كما كانت تربطه قرابة مع دفتر دار زاده محمد باشا ، وإبشير باشا ، فقد كان الأخير يخاطبه دائماً قائلاً «أولياي الحافظ» أو «الحافظ أولياي» ، أما دفتر دار زاده فقد كان يصطحبه ، ويجعله في معيته أينما ذهب . . (٣) .

إن أوليا ، بالرغم من ولعه بالحديث عن أسرته ، إلا أننا لا نجدته يتحدث عن أمه إلا في مناسبتين فقط ؛ عندما رأي الحناء في قدميها ، وأعجب بذلك ، وعندما كان يراها ، وهي تُطرز بخيوط الذهب المكرميات ، والملائات «الحراشف» وأغطية الخدييات . . وأنه ذكر ؛ أن من بين المحتويات التي تركتها جدته لأمه ما بين أربعين ، أو خمسين ديناراً ذهبياً من سكة السلطان مراد الثالث ، ويتحدث أحياناً عن زوجة أبيه . . وربما يكون مرّد ذلك إلى وفاة والدته ، وهو في سن صغير .

لم يذكر من الإخوة سوى أختا ، باسم محمود ، وبضع أخوات ، إحداهن ؛ تُسمى «إينال» وهي تكبره ، وقد تزوجها «كل إيلياس باشا ، أي ايلياس باشا الأقرع» صولاق اوغلي» الذي أُعدم في سراي چنگل كوي ، خلال الثورة التي قام بها ، في عهد مراد الرابع . . ويتضح من حكايات أوليا أنها لم تعش طويلاً بعد إعدام زوجها

(١) أباطة = أبازة ، تقع في شمال قفقاسيا ، وفي الشمال الغربي من بلاد الجركس ؛ يمتاز مناخها بالإعتدال ، وارضها خصبة رغم أنها جبلية ، ويعمل الأهالي بالرعي ، ومشهود لهم بالشجاعة . دخلت تحت سيطرة الروس ، لذلك اتفقوا مع الترك والتتار لمحاربتهم ، انظر . ش . سامي . الاعلام ص ٤٠٣ (الترجم) .

(٢) قفقاسيا : بلاد القفقاز = القفقاس . وتقع بين آسيا وأوروبا ، وبين البحر الأسود ، وبحر الخزر ، تتكون من عشر ولايات . ظلت تابعة للحكم الروسي ، وتنقسم إلى إقليمين قفقاس الأدنى ، وما وراء القفقاس . سكانها يتصفون بالشجاعة وهم من المسلمين السنيين . وهي موطن الجركس ، والشيشان ، ويتصف رجالها ونساءها بالجمال ، ولذلك احتلوا مناصب حساسة في الدولة العثمانية . (الترجم)

(٣) مرجع سبق ذكره ص ٦ 1- CaFer Erkiç

الذى كان قد إختطفها من كوتاهية ، وأن إحداهن كانت في سراي قايا سلطان ، ولم يذكر شيئاً عن الأخرى .

ينحدر أيضاً إلى أسرة الأب ، والأم مجموعة من الشعراء ؛ كالشاعر موللا فيراقي ، وقول اوغلى محمد چلبى ، وابراهيم چلبى الكرمياني الذي كان يقرض الشعر متخلصاً بـ « شريفى » وعلمدار موللا محمد بن يعقوب .^(١) كما لا يمل أوليا من الحديث عن عظماء العائلة ، ومدافنها التي تحتوي علي الكثيرين من المشاهير فى معظم مدافن كوتاهية ، وبورصة ، وشتى أحياء مدينة استانبول^(٢) .

طفولة أوليا وتعليمه :

مما سبق نلمح فى حياة الرحالة أوليا چلبى الجو المترف الذي تربي فيه ، وعاش طفولته المبكرة .. ولقد مكنته مناصب الآقارب ، ووجود والده فى السراي من تعليم راقى .

درس أوليا چلبى فى المدرسة الإبتدائية ، وكان طالباً فى مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندي ، فى نفس الحي الذى ولد فيه ، وظل يتعلم لمدة سبع سنوات على المعلم أخفش أفندي . وكان يداوم على حفظ القرآن الكريم حتى أتقنه علي يد معلمه ، وشيخه أوليا محمد أفندي ، وحسب قوله هو ؛ ظل فى كتاب سعدي زاده إحدى عشر سنة للدراسة ، والتعلم .

ودرس التجويد ، والقراءات ، وصمم على التفرغ للعلم . بينما كان يتعلم علي أبيه فن الخط ، وفنوناً أخرى كصقل الأحجار الكريمة ، والكتابة عليها .^(٣)

كانت لأوليا إهتمامات بالموسيقى ، والإنشاد ، ونراه فى سنة (١٠٤٥ هـ - ١٦٢٥ م) حافظاً ، ومرتبلاً فى جامع الآياصوفيا .. واجتذب إهتمام السلطان مراد ، والحاضرين فى إحتفال ليلة القدر ، فطلب السلطان أن يأتي إليه ، ولما استقبله فى مقصورته ؛ خلع عليه ، وقدره ، وطلب أن يكون من مصاحبيه .^(٤)

(١) مرجع سبق ذكره ص ٧ ، Eviya Celebi Hayati, Sanat, Eserleri, 1-

(٢) انظر مادة أوليا ، دائرة المعارف الإسلامية . Is. Andik. Eviya çelebi Mad. 2-

(٣) مرجع سبق ذكره ؛ ص ٤٠١ : M. Cavid Baysun 1-

(٤) أوليا چلبى سياحتنامه ص ١٦٤ ص ٢٤٤ .

ويروى أوليا جلبي هذه الواقعة المهمة في حياته على النحو الآتي :

[كانت ليلة القدر من شهر رمضان لعام ١٠٤٥هـ = الموافق ١٦٤٦م ، وكما يحدث في كل عام كان عدة آلاف من الحضور في جامع الآياصوفيا .. وفي تلك الأثناء ، وبينما كان آستاذي أوليا محمد أفندي يختم القرآن الكريم ، وبسبب رغبة ، وإصرار والدي درويش محمد آغا وبعد صلاة التراويح في مقصورة المؤذنين الموجودة في المسجد ، وفي ليلة القدر تلك بدأت في ختم القرآن الكريم .. وعند الإنتهاء من سورة الأنعام خرج كل من [قوزبكجي محمد آغا] ، و(سلحدار ملك أحمد آغا) من المقصورة ، وألبسوني تاج يوسف المقصَّب بالذهب . وسط هذه الجموع الغفيرة ؛ وأمسكوني من يدي قائلين ! « تفضل .. إن صاحب السعادة السلطان يريدكم... » وأحضروني إلي مقصورة السلطان..^(١) .

أدرك السلطان مراد انفعال أوليا فسأله : [في كم ساعة تستطيع ختم القرآن .. فرد أوليا .. « مولاي السلطان لو شئت فيأنتني أختمه في سبع ساعات ، ولكنني أختمه إن شاء الله في ثماني ساعات دون إفراط أو تفريط) فأحسن السلطان عليه بحفنة من الذهب قائلاً : « إن شاء الله تكون مصاحبني » .^(٢)

وكان لا بد أن يتعلم في الأندرون = القسم الداخلي ، بالسراي^(٣) ، وهنا تابع تعلم اللغة العربية ، والفارسية ، وفنون الخط العربي .. إلى جانب ذلك كان مَعْرُماً بقرأة التاريخ .. والإبتهالات الدينية .. ولهذا حفظ بعض المختارات من كَلستان سعدي^(٤)

(1) Resad Ekrem Koçu. S. 10 - 77 - .

(2) Zuhuri Danisman : Evliya çelebi Nasil Musâhip oldu? Tarih Mev. Sa : 24 aralık, 2 Cilt 1951 , s : 1168 - 1168 +

(٣) الأندرون : مصطلح عثمانى كان يطلق على مدارس السراي أو البلاط السلطاني ، ويعنى الأجهزة التعليمية ، أو المدارس والإدارات التي تعد الموظفين الذين سيعملون داخل القصر وفي البلاط المهمايوني ، ويمد السلطان والقصر بكل ما يلزمه من العلماء والقواد والاداريين والحرفيين وقد كانوا جميعا ينتخرجون في هذه المدارس ، وقد كان طلاب هذه المدارس يجمعون في الحروب « الديوشيرمة » وبرهون على تعاليم الاسلام وطاعة السلطان والعمل في خدمته . وكذا من الشباب الأتراك والمسلمين النابهين . وقد كانت بحق مدارس نظامية داخلية محكمة التنظيم أنظر : المصدر السابق : محمد ذكي باقطين (المترجم)

(٤) كَلستان سعدي : سعدي ؛ هو الشيخ مصلح الدين الشيرازي ، من أعظم شعراء ايران وحكامها المتصوفين . ولد في أواخر القرن السادس الهجري وفي عصر سعد بن زنكي بمدينة شيراز . ونُسب لهذا الحاكم فاشتهر بسعدي ، عاش ١٠٣ سنة ، بعد سن الطفولة قضى ٣٠ عاماً في التعلم ، و٣٠ سنة في العسكرية والسياسة ، و٣٠ =

ومثنوي جلال الدين الرومي^(١) ، وكان يستشهد ببعضها فى كتاباته ، وخلال رحلاته التى دونها فى سياحته نامته .

دخل أوليا القصر ، وسلموه إلى رئيس آغوات السراي واختاروا له غرفة بالقرب من الجناح السلطاني ، وألبسوه ملابس لائقة .. وعلموه كيفية التحرك ، والتصرف فى حضرة السلطان .. ورويداً .. ورويداً بدأ فى حضور مجالس السلطان . وحسب رواية أوليا نفسه ؛ فقد كان يُجيد الشئ الكثير من فنون القول ، والشعر العربى ، والفارسي ، والسرياني ، واليوناني . وفنون الغناء الشعبي التركي ، والموسيقى .. والذكر والأدب ، ويحفظ الكثير من الشعر فى البحر الطويل ، ومن القصائد وترجيح بند ، وتركيب بند^(٢) والمرثية ، والعيدية ..^(٣) .

يصف أوليا نفسه ، وهو فى مرحلة السراي ، بأنه كان فى حوالي العشرين من عمره ، وكان رشيداً ، نجيباً ، على علم بمجالس الأدب ، وحلقات الذكر ، والعلم . وأنه ، وهو فى حضرة السلطان كان حلو اللسان طليقه .. منادماً خفيف الظل ... هذا وغيره مما جعله ينال رضاء السلطان ، ورعايته ، وشرف صحبته^(٤) .

= الزهد والعبادة . كتب كتابه المشهور كلستان سعدى أي «حديقة سعدى» وهو فى سن ٦٧ من عمره نالت كتبه «برستان» ، «كلستان» شهرة واسعة فى عالم الأدب ، أثرى كل من أتى بعده من شعراء الفرس والترک . وانتشرت اشعاره فى هذه المناطق الشاسعة . وكان يحفظها كل من يشتغل بالفكر والأدب . انظر : شمس الدين سامى ، قاموس الاعلام ج٤) « المترجم »

(١) مولانا جلال الدين الرومى : (١٢٠٧ - ١٢٧٣م) من اكبر شعراء التصوف فى العالم الإسلامى ، عالم ، وفيلسوف ومؤسس الطريقة المولوية . ولد فى منطقته بلخ فى خراسان . والده كان سلطان العلماء بهاء الدين ولد . والدته مؤمنة خاتون من عائلة الإمبراطورية الخارزمية . ترك بلخ متوجهاً الى الأناضول إلى مكة سنة ١٢١٢م ثم انتقل عن طريق الشام الى الأناضول وعندما وصل إلى قونية عاصمة الدولة السلجوقية كان على عرشها السلطان علاء الدين كيقوباد ، فاستقبله بحفاوة بالغة سنة ١٢٢٨م . له كتب عديدة فى التصوف ولكن أشهرها قاطبة هو كتاب المثنوى المكون من ٧٠٠ ، ٢٦ بيتاً وقد كتبه باللغة الفارسية ، وترجم بعض أجزاءه د . محمد كفاى ثم أكملها وأعدّها كاملة من جديد الصديق العزيز المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقي يوسف شتا . وله «ديوان كبير» الديوان الكبير . ومجالس سبعة ، أى المجالس السبعة وكلها تدور حول التصوف والعرفان وما يتعلق بهما من آداب ومراسم . وله مکتوبات وهى رسائل فى الوعظ والإرشاد ؛ انظر : د . الصنصافى أحمد المرسي ، استانبول عقب التاريخ وروعة الحضارة القاهرة ١٩٩٩ ص ١٤٤ هامش (المترجم) .

(٢) ترجيح بند وتركيب بند ؛ من فنون الشعر الفارسي والتركي ، وقد حرص الشعراء الفرس والترک بان يُدلي كل منهم بدلوه فيهما . « المترجم » .

(٣) . (٣) 1169 ----- 3- Zuhuri Danisman. s 1168

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٧٠ .

قضى أوليا في السراي أربعة أعوام ، تعلم فيها الكثير من العلوم والفنون ، وتعرف على الكثير من رجالات عصره بعد أن كان قد أمضى سبع أو ثمان سنوات في المدرسة ^(١) إلا أن علامات التبرم ، والسأم بدت عليه فطلب الإذن من السلطان ليلتحق بقوات السباهية فوافق له ، وخدم فيها براتب قدره أربعين آقجة قبل أن يخوض السلطان مراد حرب بغداد .. إلا أن أوليا لم يستمر طويلاً في السلك العسكري ، ولم يشغل رتبة عالية هذا المجال .

وقد شغف بالسياحة ، والرحلات وهو لم يزل شاباً ، وذلك بعد أن وقع تحت تأثير ما كان يسمعه من قصص ، وروايات عن البلدان البعيدة ، من والده ، ومن رجالات الفكر ، والعسكرية الذين كانوا يجتمعون في منزلهم في كثير من المناسبات ، ودفعه هذا الشغف أن يطوف أولاً بإستانبول ، ويدرسها شبراً شبراً ، ويتعرف على كل معالمها ومآثرها ، ويعيش لياليها ويتمتع بملاهيها وملاعبها .

وطبقاً للنعنعات التركية ، يربط أوليا جلبي شغفه ، وبدءه للسياحة والرحلات برؤيا ؛ وكانت هذه الرؤيا في ليلة عاشوراء سنة (١٠٤٠ هـ = ١٦٣٠ م) وحسب روايته هو ، أنه في هذه الليلة المباركة رأى النبي ﷺ وسط حشد كبير في صلاة جماعة بجامع (أخى جلبي) ويمثل أوليا جلبي بين يدي النبي ﷺ ، وتحت تأثير هذا الموقف يتلثم ، وبدلاً من طلب الشفاعة يطلب السياحة حيث قال « السياحة يارسول الله بدلاً من أن يقول « الشفاعة يا رسول الله » ^(٢) .

(١) المدرسة : اصطلاح تعليمي كان يُطلق علي « دار الفنون » أو « دار العلوم » وأول من أنشأ مدرسة على هذا الطراز في العهد العثماني هو أورخان غازي ، ثم نص محمد الفاتح في قانونه على إمتيازات تُقدم للقضاة ، والمدرسين . وكانت مدرسة إزنيك ، وبورصة ، وأدرنة من أهم المدارس التي أنشأها العثمانيون في عهدهم الأولى . وبعد أن فتح محمد الفاتح إستانبول أنشأ جامعته « مدرسته » الشهيرة في إستانبول ، والتي سميت بمدرسة « صحن ثمان » وكان للطلاب فيها أماكن للإقامة جنباً إلى جنب مع المدرسين . وتدرس فيها العلوم الثقلية والعقلية معاً .

وزاد عدد المدارس « الجامعات » في عهد القانوني وأنشأت دار الشفاء أي كليات للطب ، وإلى جانبها « دار الحديث » وكليهما بجوار . جامعة المشهور (السليمانية) ، ولم تحدث الثنائية في التعليم في الدولة العثمانية إلا تحت الضغوط الأوروبية بعد عهد التنظيمات فأصبح هناك ما يسمى بالتعليم المدرسي ، والتعليم الحديث : انظر : (M. Z. Pakalin, O.t. Deyimleri ve Terimleri Isb. 1971) (المترجم) .

(٢) أوليا جلبي سياحته ما س ، ج١ . المقدمة .

وما أن رأى سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) منه ذلك حتى طمأنه بالشفاعة ،
والسياحة معاً .

يذهب أوليا چلبى إلى مشايخه ، وأساتذته ويقص عليهم رؤياه . ويطلب منهم
تفسير هذه الرؤية . فيذهب إلى الشيخ المولوى عبد الله ده ده فى حى قاسم باشا
فيطلب منه أن يفسر له هذه الرؤية فيوصيه الشيخ قائلاً (إبدأ بتحرير تاريخ إستانبولنا
العزيزة) فيشمر عن ساعده ، ويتحفنا بالجلد الأول من سياحتنامه سنة (١٠٤٠هـ
سنة ١٦٣٠م وفى سنة ١٠٥٠هـ = سنة ١٦٤٠م) ما بين إبريل ومايو يرحل إلى
بورصه مع صديق له يسمى «أوقچى زاده أحمد ، وبعد عودته من هذه الرحلة التى
لم يستأذن والده فيها ينصحه والده أن يسجل ملاحظاته أولاً بأول فى كتاب
للرحلات ، ويأذن له بالترحال ، فيتوجه نحو إزميت » فى (١٠٥١هـ حزيران سنة
١٦٤١م) وبعد أن يمضى شهرين فى إستانبول يتوجه إلى طرابزون فى صحبة كنتنجى
عمر باشا الذى عيّن والياً عليها ، وكانت رحلته الثالثة هذه عن طريق البحر الأسود
فى (١٠٥٠هـ ٢٨ ديسمبر سنة ١٦٤٠م) . ومنها توجه إلى آناپا (Anapa) وأنضم
إلى الجيش المتوجه للإستيلاء على قلعة (آزاق Azak) ولما إنتهت هذه الحملة بالفشل
توجه نحو (بهادر كيراي خان) بالقوم لقضاء الشتاء . وقد أمضى شتاء هذه السنة
فى (باغچه سراى Bahçe saray) . ثم عاد إلى استانبول بعد أن شارك فى إسترداد
قلعة الآزاق . ومكث أربع سنوات فى إستانبول . وفى سنة (١٠٥٥هـ = سنة
١٦٤٥م) شارك فى فتح خانيا "Hanya" مع يوسف باشا الذى كان يقود حملة
كـریت Girit ثم عاد إلى استانبول . وفى العام التالى مباشرة خرج إلى الأناضول
كمؤذن ومُصاحب للدفتردار . آده محمد باشا « الذى عين أميراً للأمرء على
أرضروم . وقد مكنته هذه الرحلة من التجول والطواف بكل مدن وبقاع الأناضول .
ثم عاد إلى أرضروم ، والتحق بالحملة التى قادها الدفتردار زاده ضد أمير الشوشيك
(Susik) فتمكن بذلك من مشاهدة بعض مناطق آذربيجان مثل كورجستان
(Gurcistan) كُلف أوليا چلبى ببعض المهام ، وحمل بعض الرسائل إلى خان روان
"Revan" فتمكن من الطواف ، ومشاهدة مناطق كُومشخانة Gümüşhane وطورطوم
Tortum . بعد أن شارك فى حملة كورجستان عاد إلى أرضروم وأمضى الشتاء بها ،
ثم عاد مع الدفتردار زاده محمد باشا إلى استانبول وقد كلفه محمد باشا بمهام كثير ،

ووساطات لجمع كلمة أمراء الأناضول للمشاركة في القضاء على عصيان (واردار على باشا) الذى كان يهدد كيان الدولة آنذاك . ويحكى هو نفسه أنه بسبب العواصف الثلجية التى هبت خلال إحدى هذه الرحلات ضل طريقة فوجد نفسه وسط الجلاليين أمثال حيدر أوغلى وقاطرجى أوغلى وقد ساعدته هذه الصدف على التعرف عن قرب على ثورة الجلاليين^(١) . والكتابة عنها هى وثورة (واردار على باشا) وقد أعطى معلومات قيمة جداً عن هاتين الثورتين .

يعود رحالتنا إلى إستانبول (١٠٥٨هـ = سنة ١٦٤٨م) . ولكنه يتوجه مع أمير أمراء الشام مرتضى باشا إلى الشام فى (١٠٦٠هـ = ١٨ سبتمبر سنة ١٦٤٨م) ويظل بها حتى (١٠٥٨هـ = ١٤ تموز سنة ١٦٥٠م) وخلال هذه الفترة يكلفه مرتضى باشا بالتوجه إلى حاكم غزة ، ، ويحمله الرسائل إلى الشهابيين فى لبنان ، مما أتاح له رؤية الكثير من بلدان ، ومناطق سوريا وفلسطين . وبعد أن يطوف بالكثير من مدن وسط شرق الأناضول (لجمع الأموال لسيواس) يعود إلى إستانبول وتسير الأمور لصالح أولياچلبى ، فيعين خاله ملك أحمد باشا صدراً أعظم وبالتالي يصير أولياچلبى أمين الجيش المتوجه لتأديب الجلاليين . ويعاصر ، ويرى سوء إدارة خاله - كما يرى عن قرب ما يدبر فى القصر من خطط ، وخدع ، ومكائد . ويصاحب بعض منها وهو فى رفقة ملك أحمد باشا ، وفى بعض منها وهو وحده . وقد كان يقاوم رغبة خاله هذا فى أن يدفع إلى السوق بنقود مزيفة للقضاء على الأزمة ، الاقتصادية وكيف أن هذه السياسة قد أدت إلى عواقب وخيمة ، وإلى ثورة الحرفيين . ولما تم عزل الصدر الأعظم وتعيينه أميراً للامراء على « أوزى » Ozi أتاحت الفرصة لأولياچلبى ليقوم بأول رحلة له فى بلاد الرومىلى ، وأستمرت هذه الرحلة من (١٠٦٢هـ = ٢٣ أغسطس سنة ١٦٥١م) إلى نهاية (١٦٠٤هـ = حزيران سنة ١٦٥٣م) وكانت هذه الرحلة فى بعض منها فى رفقة ملك أحمد باشا ، وفى بعض منها وحده . وكان يقوم بحمل الرسائل المهمة بين روسجوق Rusçuk - وإستانبول ، وذهب إلى سلسترا ، وطاف

(١) جلالى : مصطلح ادارى عثمانى يطلق على العاصى أو الخارج عن القانون أو من يعمل ضد السلطان ، وقد كان هذا فى البداية اسم لأحد العصاة الذين ظهروا بالقرب من طوقات ورفع راية العصيان ضد السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٧هـ = ١٥١٢ - ١٥٢٠م) وادعى المهديّة والتف حولة عدد كبير من قطاع الطرق وانتباع المصائبات وسبب قلاقل كبيرة للدولة تم القضاء عليهم . ولكن ظل أسمهم يطلق كل العصاة الخارجين على الدولة : انظر : محمد ذكى باكالين . المصدر السابق (المترجم) .

بقرى ومراكز بلاد الأوز ، وكتب عما رآه من غرائب وعجائب فى قرى «بابا داغى»
وزار صوفيا . ولما تم عزل الباشا عاد معه إلى إستانبول وقضى بها فترة انسته ملاحيتها ،
وملاعبيها متاعب الرحلات الطوال التى قام بها .

عين ملك أحمد باشا والياً على «وان» فتوجه فى معيته ، قريبه أوليا جلبي .
وظل فى جنوب الأناضول من (١٠٦٦هـ = ٩ مارس سنة ١٦٥٥ إلى ١٠٦٧هـ =
٢٤ حزيران سنة ١٦٥٦م) ، وأتيحت له الفرص لزيارة كل مدن جنوب الأناضول ،
وإيران . واختلط باليزيديين ، وجمع عنهم الكثير من الوثائق والمعلومات . ولما تم
نقل ملك أحمد باشا والياً للمرة الثانية على بلاد الأوز توجه أوليا جلبي معه إلى
سليسترا ودخل فى خدمة محمد كيراي الرابع خان القرم ، وشاهد هزيمة القازاق الذين
هاجموا بلاد الأوز وكان هو الذى حمل انباء هذه الهزيمة إلى إستانبول . وبعد عودته
إلى مقر الولاية كان يكلفه خاله بنقل الرسائل بينه وبين زوجته (قايا سلطان) .
(Kaya Sultan) .

سافر إلى البوسنة مع ملك أحمد باشا (الذى عين والياً عليها ولكنه بقى فى
إستانبول شهراً للعلاج بعد أن جرحه واحد من رجال كوبريلى محمد باشا
(١٠٧٢هـ = ١٥٧٥ - ١٦٦١م)^(١) وهو فى الأناضول فطاف بكل سواحل الأناضول
ثم توجه إلى أدرنه مروراً بكوبريلى محمد باشا (١٠٧٢هـ = ١٥٧٥ - ١٦٦١م) فى
«جناق قلعة» وبعدها انضم إلى الحملة التى قادها «كوسه على باشا» على «اراد»
"Varad" واعتباراً من (١٠٧١ = ٢٦ مايو سنة ١٦٦٠) طاف ببلاد الأورناؤوط ،
والأويغار = البلغار ، وبوهيميا = المجر وظل بها حتى (١٠٧٣هـ = مارس ١٦٦٢م)
وبعد أن أمضى الشتاء فى بلجراد عاد إلى إستانبول ثم خرج منها إلى النمسا مع
الجيش المتجه إليها تحت قيادة فاضل أحمد باشا (١٠٤٥ - ١٠٨٧ = ١٦٣٥ -
١٦٧٦م)^(٢) ويقص علينا أوليا جلبي الغرائب والعجائب التى شاهدها ولمسها

(١) كوبريلى محمد باشا ، مؤسس عائلة كوبريلى التى تولت الصدارة العظمى فى الدولة العثمانية لفترات طويلة ، ولعبت
دوراً بارزاً فى تاريخها . تنابعت فيه وفى ذريته الصدارة . وقد تولى على بلاد الأورناؤوط (ألبانيا) سنة ١٠٧٠هـ =
١٦٦٠م (المترجم) .

(٢) فاضل أحمد باشا : من عائلة كوبريلى ، اشتهر بحبه للعلم ، وحمايته للعلماء ، تولى منصب الصدارة بعد العديد من
المناصب فى الدولة العثمانية وأجرى بها العديد من الإصلاحات . ولد سنة ١٠٤٥هـ = ١٦٢٥م وتوفى سنة ١١٨٧هـ =
١٦٧٦م . (المترجم)

بنفسه فى بلاد النمسا ، وهولندا ، والسويد حيث زارها بعد يوهيميا . وهذه الحكايات بالرغم مما فيها من مبالغات إلا أنها فى غاية الأهمية لدراسة تاريخ ، وعادات ، وتقاليد ، ومعالم تلك البلاد خلال هذه العصور . وتصل مبالغات الرحالة ، أوليا إلى أن يقص علينا أنه التقى فى فينا بالإمبراطور (ليوبولد الأول) (Leopold I) ومونتوسوكلى (Montecucolli) وأنه زار بلاد الأسبان ، والدنمارك وأنه وصل حتى دونكاركيه بجواز السفر الذى تسلمه من الإمبراطور ، وبالرغم من أن هذا الكلام فى حاجة إلى تحقيق إلا أنه يعطى الكثير عن تاريخ ، وعادات وتقاليد تلك البلاد ، وعلى مدى سعة إطلاع الرحالة أوليا چلبى . وبعد أن عاد من هذه البلاد كلف بمهام التفتيش على قلاع المجر ، فلذلك وافته الفرصة لكى يطوف بكل قرأها وقصباتها ، ويحكى لنا فى كتابه . سياحتنامه» أنه وصل إلى بلاد القرم ، بعد أن تجول فى أردل (Erdel) ، والبغدان ، والأفلاق ، وينتقل من القرم إلى قفقاسيا عن طريق البر . ويسجل أنه تجول فى بلاد «داغستان» ، وشواطئ بحر الخزر ، وبين قبائل الفولجا ، وأنه إنضم إلى قافلة أحد السفراء الروس من ترك Terek حتى الآزاق وعلم بها أن الجيش العثماني قد تحرك نحو كريت . فتوجه چلبى نحو (باغچه سراى) وشارك عادل كيراي فى بعض حرابه ، ثم عاد بطريق البر إلى استانبول . ومضى فى هذه الرحلة ما بين (١٠٧٤هـ = تموز سنة ١٦٦٣م) حتى (١٠٧٨هـ = ١١ مايو سنة ١٦٦٧م) . وبعد أن استراح بعض الوقت توجه إلى زيارة بعض مدن الرومىلى كسلانيك «وأدرنه» وساح بكل بلاد اليونان والموره ، «تساليا» . وعاصر ، بل وشاهد استيلاء العثمانيون على قانديا (Kandiye) ، وشارك فى إخماد العصيان الذى شب فى بلاد اليونان ضد العثمانيين ، والذى عرف فى كتب التاريخ بعصيان (ماينا) "Mayna" وبعد أن طاف بسواحل بحر الأدرياتيك مروراً ببلاد الأرنأوط عاد إلى استانبول . وكانت هذه الرحلة فيما بين (١٠٧٩هـ = ٢٦ يناير سنة ١٦٦٨م) إلى (١٠٨١هـ = ٣١ أغسطس سنة ١٦٧٠م) .

رحلته إلى الحجاز:

أصاب أوليا چلبى الذى زار الكثير من البلدان ورأى آلاف المدن نوع من الحزن والكآبة لعدم قيامه بالحج وزيارة الأماكن المقدسة ، فحزم أمره ، وأعد عدته للقيام بالرحلة الرابعة عشر ، والأخيرة فى حياته ألا وهى رحلة الحجاز ومصر . فاستراح عدة

أشهر وأعد غلماناه ، ورافق قافلة الحج التركي ، والتي كانت تضم حجاج كل دول البلقان وأستانبول . وشاهد ووصف لنا مراسم توديع القافلة وتسليم الجمل الذي يحمل المحمل وكيف أن السلطان بنفسه - وفي معيته الصدر الأعظم وشيخ الإسلام قد حضر هذه المراسم وقد كانت فرقة الموسيقى السلطانية تعزف أمام قصر السلطان قبل موعد قيام القافلة بزمان طويل وكان معنى ذلك ائذان وإعلام للجميع باقتراب موعد قيام القافلة ، فيقدم الأمراء والأثرياء وأهل الخير هداياهم لتكون في عهدة أمير القافلة حيث يوصلها إلى سكان مكة ، والمدينة ومجاورى الحرمين الشريفين .

وفي وصف دقيق وممتع يصف لنا الكاتب رحلته منذ أن قامت من أستانبول حتى إنتهى من أداء شعائر الحج . ويقدم لنا شعور المسلم المؤمن في مواجهة الصعاب ، وكيف أن القافلة كانت تحمل مالا يطاق من برد ، وجوع ، وعطش وهي تعبر الصحراء القاحلة^(١) . كان كل ذلك من أجل الايفاء بركن من أركان الإسلام . وكثيراً ما كان يتحفنا ببعض من أشعاره الجياشة وتضرعاته وتوسلاته في الحرم النبوي وأمام أستار الكعبة الشريفة .

يقدم أوليا جلبي أوصاف الحرمين الشريفين وما فيهما من تحف وعدد المآذن ، والأبواب ، والأعمدة ، والشبابيك وأطوال كل منها . وتعريف كامل بسكان البقيع من أصحاب رسول الله ﷺ . كما يصف لنا وصفاً دقيقاً كل ما كان يصادفه من قلاع ، وحصون ومساجد وتكايا ، ويعرفنا بأقطاب العلم ووصفاً للأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية ، والادارية ، والتشكيلات العسكرية والتقسيمات الادارية للشام والحجاز^(٢) .

اتم أوليا جلبي طواف الوداع ، واتم فريضة الحج في موسم سنة (١٠٨٢ هـ = ١٦٧١ م) واستقر رأيه على مرافقة قافلة الحج المصرى عند عودتها لكي يقوم برحلته إلى مصر . فيلتقى بشريف مكة ، ويتجه إلى جدة لمقابلة الوالى العثماني ليستأذنه فى الرحيل ، ولم يفته أن يخبرنا بتجارة جدة ، وبنوع وأجناس الحجاج ، والسفن وما

(١) سنرى كل ذلك فى ترجمة المتن الذى نحن بصدده ، وهو المجلد التاسع من الرحلة ، (المترجم) .

(٢) أوليا جلبي سياحته من س ، ج٩ . أستانبول ١٩٣٥ م .

يحملة الحجاج المصريون فى رحلة الذهاب والاياب من مكة والمدينة وجدة التى كانت تجمع فى خاناتها تجارة الشرق والغرب .

رافق اوليا قافلة الحج المصرى بعد أن شحن كتبه ، وهداياه مع بعض من عبده ، وغلمانه فى إحدى السفن المتجهة إلى السويس بحمولتها من البن والدخان ، وبضائع الهند ، والصين ، وجاوه ، ورقيق الحبشة وأفريقيا .

ويذهب الرحالة الى مصر عبر طريق العقبة وطور سيناء حتى وصل إلى السويس ، ومنها إلى القاهرة مروراً ببليبس والصالحية . ويسجل لنا أنه تردد بين القاهرة ، وبليبس عدة مرات لاستقبال عبد الرحمن باشا الذى عين والياً على مصر فى (١٠٨٧هـ = ١٢ تموز سنة ١٦٧٦م) . وفى إعتقاده أن كتاب «سياحتنامه» أوليا جليبي من أدق وأوفى ما كتب عن الحجاز ومصر فى القرن السابع عشر ، فلو استبعدنا المبالغات فى تفسير بعض الظواهر لأعتبر هذا الكتاب سجلاً وافياً لما كان فى الحجاز ومصر من آثار ، ومساجد ، وجوامع ، وتكايا ، وزوايا ومستشفيات ، وبيمارستانات ، وكنائس ، وخانات ، وقصور ، وبرك ، وترع ، وقنوات ، ومعسكرات ، وعائلات . وكذا مرجعاً لا يستهان به للوضع الاجتماعى ، والاقتصادى ، والعسكرى ، والإدارى لمصر فى هذه الحقبة التاريخية الغامضة من تاريخ مصر . فقد طاف الرجل بكل مصر ، حيث ذهب إلى دمياط عن طريق النيل ثم إلى الاسكندرية ، ورشيد ووصف لنا كل مدن ، ومراكز وقرى الدلتا ، ثم رافق حامية متجهة إلى السودان فتعرف وعرف لنا بكل مدن الوادى حتى وصل إلى أعماق السودان والحبشة وبلاد الفونج والتقى بملكها ووصف لنا ما كانت عليه هذه البلاد ، والقبائل من تخلف وما كان يسودها من عادات وتقاليده وأعراف (١) .

بقى أوليا جليبي فى السودان ، والحبشة مدة طويلة ، وعاد إلى مصر عن طريق ساحل البحر الأحمر وسجل كل ملاحظاته ومشاهداته التى كان يدعمها بالمراجع فى مجلدة العاشر والأخير فى مجموعة رحلاته .

(١) أوليا جليبي سياحتنامه س ، ج١ ، استانبول سنة ١٩٣٨ . وتعد ترجمته للنشر حالياً من قبل مترجم ، وناشر هذا الجزء . «المترجم»

طريقة أوليا جلبي في التاريخ:

كان أوليا جلبي يدون ملاحظاته ، ومشاهداته عن البلد ، أو المدينة التي يمر بها . ثم يرجع إلى كتب التاريخ ، والرحلات التي سبقته إليها وخاصة الثقة منهم . أمثال القزويني ، والمقریزی ، والطبري ، والذهبي وجمال زاده ، وصولوق زاده ، والأطلس الصغير . ثم يدعم هذا كله بالرجوع إلى القوانين ، والسجلات ، وكتب المناقب ، وسجلات الولايات ، ودفاترها ، وميزانياتها . وقد كان يستخدم أساليب عصره في القياس ، فما أن يمر بجماع ، أو قلعة حتى يحصى الأبواب والأدوار ، والمخازن ، ويقيس بالخطوة ، والذراع كل ما يصادفه من آثار وأطلال . كما كان يعود إلى ما سجله أو رجع إليه من مراجع في كتبه السابقة على حد قوله هو :

طبقات سياحته:

اعتمدت النسخة رقم ٤٥٨٤٦٢ في مكتبة برتو باشا أساساً في طبع سياحته . وقد أشرف نجيب عاصم ، وأحمد جودت على طبع المجلدات الخمسة الأولى سنة (١٣١٤هـ - ١٨٩٦م) . وقام أمره قره جه صو سنة (١٣١٨هـ = ١٩٠٠م) بطبع المجلد السادس ، وقام كليسلي رفعت بطبع المجلدين السابع ، والثامن من سنة ١٩٢٨م . أما المجلدين التاسع والعاشر فقد أشرف على طبعهما أحمد رفيق فيما بين سنة (١٣٥٤ - ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٥ - ١٩٣٨ م) كما طبعت مقتطفات ومختارات من رحلة أوليا جلبي في إستانبول سنة (١٢٥٦ هـ = ١٨٤٠م) ، (١٢٦١ هـ = ١٨٤٥م) . (١٢٧٩ هـ = ١٨٦٢م) والقاهرة سنة (١٢٦٤ هـ = ١٨٤٧م) . واستطاع رشاد أكرم قوچی إختصاره وطبع خمسة مجلدات منه فقط ، وقام مصطفى نهاد أوزون باختيار لوحات تتعلق بالحياة في القرن السابع عشر من سياحته أوليا جلبي وطبع هذه اللوحات في مجلدين . وأستطاع نفس المؤلف أن يجمع ماكانت الرقابة قد منعت طبعه في حينه وشكل بذلك مجلداً ثالثاً . وفي سنة (١٣٩٠ هـ = سنة ١٩٧٠م) قام ظهوري دانشمان بإعداد طبعة جديدة مختصرة تقع في عشرة مجلدات .

وقد ترجمت مقتطفات ومختارات من سياحته أوليا جلبي إلى الألمانية ،

والانجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والمجرية ، والرومانية ، والبلغارية ، والصربية ، واليونانية ، والأرمنية ، وغيرها من اللغات الغربية^(١) .

إن أوليا جلبي الذى قضى سنوات طويلة يطوف ، ويجول ، وهو فوق صهوة جواده قد إمتلك مهارة فائقة فى ركوب الخيل وسباقها ، وكان يتمتع - إلى جانب ذلك - بروح مرحة ميال إلى الفكاهة . وقد مكنته هذه السنوات ، وهذه الرحلات من إكتساب علوم ومعارف غزيرة ، إلى جانب كونه كان خطاطاً ، ونقاشاً ، وموسيقياً وشاعراً . وقد كتب لوحاتاً فنية ، وأشعاراً دينية وعلقها فوق جدران الحرم النبوى فى المدينة المنورة ، خلال زيارته للمسجد النبوى سنة (١٠٨٢ هـ = سنة ١٦٧١ م) وأذا كانت أشعاره التى أوردها فى كتابه سياحتنامه ، تتسم بشئ من الركاكة ، والبساطة فإن نثره يدل على أنه كان يمتلك ناصية اللغات الاسلامية الثلاث « العربية والفارسية والتركية » وأن أسلوبه التركي كان من النوع السلس ، المتدفق . وكان يستخدمه فى الكتابة وكأنه يتحدث أو يقص على مستمعيه ما يشنف به أذانهم ، وتطيب به نفوسهم ويسعد به فؤادهم حتى ولو أدى ذلك إلى بعض الأخطاء اللغوية .^(١)

* * *

(١) انظر فى تلك المراجع التالية :

1. Ayfar Güçlü, Evliya Çelebi Seyahatnamesi üni. Kip. Tez. Nu 1473. Ist. 1947.
2. Cafer Erkiliç. Evliya Celbi. Ist. 1969 .
3. Leman Nusret. Evliya Çelebinin Hayati üni, Kip, Tez. Nu, 173. Ist. 1939.
4. M. Çagatay Ulucay, Evliya Çelebi. Ist. 1957.
5. Mesküre Eren, Evliya Çelebi Seyahatnamasi. birinci Cildinin kaynaklari üzerinde Bir Arasriema. Ist. 1960
6. Zuhuri Danisman. Evliya Çelebi Seyahatnamesi. Ist. 1970 .. « المترجم »

(١) انظر فى هذا الجزء ، أوليا جلبي وكتابه سياحتنامه ، د/ الصفصافى أحمد المرسى ، مجلة كلية اللغات والترجمة ، العدد العاشر ١٩٨٥ ص ٢١٧ - ٢٢٧ .